الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

فقدنا الشاعر علي محمود طه :

ما كدنا نستبشر بإبلال صديقنا الشاعر الكبير علي محمود طه حتى فوجئنا وعجمنا بفقده . حسبنا أن الأقدار قد خففت عنا ما أصابنا من الهم لمرضه ، وأنا نستعد بسلامته واستئناف صحبته ، فإذا هي تصب علينا نعيه فتترقنا في الهم والأسى ، وإنا نحن للقاء منسجي في نعشه ، في اليوم الذي قدرناه للفرح برؤيته بعد مبارحة المستشفى ، فياله من لقاء !

قضينا هذه الأيام ، وما نزال ، في غمرة الأسى ، لا نستطيع غير الوجوم الحزين ، فما التقيت أحداً من إخواننا الأدباء حتى ذكرنا الفقيد العزيز وتبادلنا النظرات المفصحة عما يعلو الوجوه من الكآبة ، ونلوذ بالصمت خشية الهيج ، ونختلس مسح العبرة ، لإظهار التجلد ، وإيثار التجمل .

كان لعلي محمود طه شخصية واضحة جذابة ، وكان وضوحها يتم على ما فيها من طيب وسخاء . ويخيل إلي أنه ترك كل من عرفهم أصدقاء ، فلا يملك من يعرفه إلا أن يحبه ، فقد كان إنسانا نقيا مما يشوب الإنسانية الصافية ؛ كان مرحا طروبا ، أقبل على الحياة بنفس مبسوطة لا تقيد فيها ، فراح يستشعر ما فيها من جمال ، يحس الشاعر المرهف ، ويهب من مواردها ما يحيله إلى فن جميل ، ويرتاد آفاق الحسن في الشرق والغرب ، ثم يصوغه شعراً خالداً ولحنا يتغنى به الزمان . لم ينغصه غير العلة التي عصفت به وهو يتردد على أفنان هذه الحياة ليجتاها متاعا وبهجة لمن يصغي إليه ، ولكن طبيعتها الغالبة غلبته على أمره ، فسار الأسى من بعده لوعة وحسرة بعد المتاع والبهجة .

كان علي محمود طه حلقة في سلسلة تطور الشعر العربي الحديث ، تتميز بالأصالة المبينة ، وأعني بكل كلمة من هاتين الكلمتين معناها الواسع ؛ فقد كان أصيل الشاعرية ، لوى شعره عن التقليد والترديد ، وقصد إلى مشاعره وخواطره لا يحرص على شيء قدر ما يحرص على أدائها وإبرازها ؛ وكانت أصالته تتمثل في حسن تأتيه وبعده عن الخيال المجدب وعن الإيغال في الأجواء التي لا يأتي منها الوغل فيها بشيء ، فكان حذواً بين المدرسة القديمة الجامدة والمدرسة الحديثة المضطربة ، أوتل إنه كان يمثل المدرسة الحديثة كما ينبغي أن تكون

وكان بيانه وأساليبه يرتكزان على ثقافة واسعة متنوعة ، هضمتها طبيعته الفنية وتمثلتها ، فقد اغترف من الآداب المختلفة واستوحى البيئات المتباينة ، وسيطر على كل ذلك بقوة هضمه ، وضبط مقاييسه بفنه الهندسي ، فأخرج بذلك فنا من الشعر سريا متناسق الألوان .

كان الفقيد الكريم طوال الصيف الماضي يعاني مرضاً شديداً ، خف عنه أولا ، ثم انتكس فعاودت قلبه العلة ، وكان يعالج أخيراً في المستشفى الإيطالي ، وقد تماثل وتقدم نحو الشفاء ، حتى عين يوم الخميس الماضي (١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٩) لخروجه ، وفي هذا اليوم المعين ليس ثيابه وتأهب لمغادرة المستشفى ، وإنا هو يسقط صريعاً بين أيدي من أتوا لمرافقته إلى منزله .

وتوفي الفقيد وهو في السابعة والأربعين من عمره ، وقد قضى أكثر حياته العملية موظفا في الحكومة ، بعد أن تخرج في مدرسة الهندسة التطبيقية ، وتنقل في الوظائف حتى كان مديراً لمكتب رئيس مجلس النواب ، وفي سنة ١٩٤٥ استقال من هذا المنصب ، إذ آثر أن يتفرد طليقا بعيدا عن وظائف الحكومة ، وظل كذلك حتى عين في هذا العام وكيلا لدار الكتب المصرية .

أخرج الفقيد عدة دواوين ، هي « الملاح التائه » و « ليالي الملاح التائه » و « أرواح وأشباح » و « الشوق العائد » و « زهر وخمر » و « شرق وغرب » وله مسرحية شعرية هي « أغنية الرياح الأربع » وله أيضاً كتاب « أرواح شاردة » وهو يحتوي على نثر وشعر .

إن يكن علي طه خلّى مكانه بين الأحياء الفانين ، فستظل آثاره باقية في سجل الخلود ، وتبقى شمائله حية ماثلة في نفوسنا ما بقينا .

تكريم دسوقي أباظة باشا

احتفلت جامعة أدباء العروبة يوم الأربعاء الماضي في فندق الكنتنال(١)، بتكريم رئيسها معالي الأستاذ دسوقي أباظة باشا، وقد تناول معاليه في كلمته بختام الحفلة عن مناسبة هذا التكريم، فقال هيكل باشا: مناسبتها أنك عدت إليهم بعد طول غياب، فكثرة اشتغالك بالمسائل العامة حالت بينك وبينهم مدة طويلة. وقال دسوقي باشا: جرت العادة أن يكرم الوزراء المعينون لا الوزراء السابقون، فهذا تقليد جديد نميل ولعله يغري الوزراء الحاليين بالخلاف.. وقد أبدى حقي محمود باشا تخوفه من أن تكون هذه مؤامرة لأخذ دسوقي باشا إلى جانب الأدب وترك زملائه السياسيين وحدهم في الميدان، ولكنه عقب بأنه يقول الحق إذ يصرح بأن مجتمع الأدباء يعافيه من سمو العاطفة وجمال الحب الصادق بفضل ألف مرة مجتمع السياسة بما فيه من عداء ونفاق.

وكان طبيعياً أن يتتابع الشعراء والخطباء مكثرين من الشعر والنثر في تكريم دسوقي باشا، فالجمال عالمهم والقوم كلهم شعراء وخطباء، والرجل حقيق بالتكريم والتقدير، لأدبه ونبله وحسن رعايته، وقد جاذبته السياسة، فلم تأخذه من الأدب بل كان هو يؤدبها.. ودسوقي باشا يحب أعضاء جامعة أدباء العروبة كما قال في كلمته إذ وصف الحفلة بأنها «تلبس» في حالة حب متبادل بينه وبينهم. ولكنه لا يقصر عليهم حبه، فهو يميل إلى الأدباء عامة ويعجب بكل مجيد منهم، ولا عجب في ذلك فهو أحد هؤلاء الأدباء، وقد ظفر عالم الأدب منه أخيراً بكتابه القيم «وميض الأدب في غيوم السياسة» على رغم اضطلاعه بأعباء الوزارة كما يدل على ذلك عنوان الكتاب.

ألقى في الحفل شعر ونثر كثير، وكنت أود أن يخرج القائلون بعض الخروج عن حدود القوالب المألوفة في المديح إلى شيء من الموضوعية، أعني أن يكون للكلمة أو القصيدة موضوع غير مجرد المدح، وقد كان ذلك في بعض ما قيل ولكنه قليل. وكنا ننتقل من سماع الجيد إلى العادي أو المعدوم القيمة، والعكس، حتى رأيناهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئاً، ويبدو أنهم قدموا «أعضاء

(١) هكذا بنطق العامة كلمة «الكونتنتال» وهو تعريب سليق مقبول.

كشكول الأسبوع

□ احتفلت وزارة المعارف بتكريم حسن فائق باشا وكيل الوزارة السابق لمناسبة الإنعام على سعادته بنشان النيل تقديراً لمجهوده في خدمة التعليم، فأضاف معالي الدكتور طه حسين باشا بذلك إلى المعنى السامي الكريم معنى الوفاء لرجل خدم التعليم أربعين عاماً.

□ أصدر معالي وزير المعارف قراراً بتأليف لجنة برياسة خيري بك وكيل الوزارة الساعد، لدراسة مسائل الكتب الدراسية المقررة لمواد القراءة والمكتبات، بقية وضع نظام يحقق المصلحة العامة مع الحرص على كرامة المؤلفين وعدم الإضرار بدور النشر الحرة.

□ يعمل مكتب صحافة الباكستان بالقاهرة في إعداد مجلة باسم «رسالة الباكستان» تعنى بالنواحي الفكرية والثقافية وخاصة ما يتصل بالعالم الإسلامي. ويصدر العدد الأول في مستهل ديسمبر القادم، وستكون نصف شهرية.

□ قالت «الأهرام» إن الرأي استقر على أن تصدر اليونسكو مجلة موحدة بالإنجليزية والفرنسية، لمقاومة الأمية وتعليم الكبار، وإن الرأي استقر أيضاً على إصدار نسخة منها بالعربية على أن تقوم حكومة عربية أو أكثر بإعداد الترجمة الفنية للأصول الإفرنجية.

□ مما يذكر لمناسبة عقد المعاهدات الثقافية، أن الخليفة المأمون حينما عقد معاهدة سلم مع عاهل القسطنطينية، بعد انتصاره على الجيوش البيزنطية، اشترط عليه في المعاهدة المذكورة أن يرسل له مجموعة من الكتب العلمية والفلسفية اليونانية.

□ جاء في كتيب أصدره «مكتب العلاقات العامة لحكومة السودان» أن السودانيين ليسوا مصريين لا من ناحية الجنس ولا من ناحية الثقافة.. لماذا؟ لأن سكان السودان سود اللون مسلمون يتكلمون العربية...

أما السواد فيشترك معهم فيه سكان مصر العليا، ولا يبقى غير فارق واحد، هو أن السودانيين مسلمون يتكلمون العربية والمصريين مسلمون يتكلمون العربية أيضاً!

□ كتبت السيدة بنت الشاطئ في «الأهرام» تستنكر ما وردده بعض الكتاب والشعراء من استطاف أولياء الأمور على أسرة المرزبي وما قالوه من أن ما يمنح لأبنائه أجدى من تأبينه بالشعر والنثر. ولقد ذهبت الكاتبة الفاضلة إلى أن ذلك يؤذي كرامة أديب إنسان ويهدر المعنى الذي كافح من أجله، وأن المال الأدبي خير وأبقى.

□ كتب الأستاذ يوسف وهبي بك كلمة في «المصري» عن قرار الحكومة رفع الإعانة السنوية للفرق الأجنبية إلى ١٦ ألف جنيه لمناسبة حضور مغني إيطالي لا يفرق هناؤه في الأذن المصرية عن (الصوان) وصياح الدجاج في الجنازات. وقال يوسف بك: لقد آن لنا بزوال وصمة الهاكم المختلطة في تزول عنا وصمة الفرق الأجنبية التي تحتل دار الأوبرا في أحسن شهور السنة؟

□ قال أحد الفصاص: كان اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا: قالوا: لئن يوسف لم يأكله الذئب. قال: فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف!

مكتب الجامعة » على غيرهم دون مراعاة الأجدر بالتقديم من هؤلاء وهؤلاء .

وممن أجادوا الأستاذ محمود غنيم وقد ألقى أبياتا أولها :

حكم تقاص عنه ظلك ما تقاص عنك ظله

وكانت كلمة الدكتور حسين الهمداني الملحق الصحفي بسفارة الباكستان — ذات موضوع ، فكانت كلمة الباكستان حقاً في تكريم دسوق باشا ، وقد تحدث فيها عن مكانه في الأدب وفي السياسة وقال إنه كان في سياسته عربيا مسلما قبل أن يكون مصريا قوميا ، فقد شغل نفسه بالمسائل الشرقية العامة حتى كان يتخيله وزيراً باكستانياً في مجلس وزراء مصر عند ما كان يستمع إليه في مناسبة تخص الباكستان . ودعا الدكتور الهمداني إلى إقامة مؤتمرات أدبية ومهرجانات عربية تنذى الأرواح وتشيد بمفاخر البلاد .

ومن القصائد الجيدة قصيدة الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي ومطلعها :

هذه للخميلة كالربيع الناضر بانفحة الشادي وأنس السامر

وكانت قصيدة الأستاذ أحمد مخيمر أدنى إلى التحليل ، ومن قوله بعد أن تحدث عن السياسة وتلونها :

واليوم لا أنس للنور الذي فقدوا واليوم نفرح بالجد الذي خسروا

وقد ألقاها الأستاذ عبد الفتاح الشناوي إلقاء جيداً .

أما الأستاذ الموضي الوكيل فقد دفع بقصيدته إلى من يلقيها ، فانتهز الفرصة وجعل يخطب قبل أن يلقي . وقد أساء إلى النحو واللغة في الخطابة والإلقاء ، عوض الله الموضي خيراً ...

شؤم ابن الرومي :

كتب أحد الأدباء بتوقيع « م . ف . ع » بجريدة المصري ، مقالا عنوانه « ابن الرومي الشاعر المشئوم الذي حلت لعنته على وزارة المعارف » أراد فيه أن يسوق طرائف يمتع بها القارئ ، واندفع مع الرغبة في الحبك الصحفي إلى « تأليف » وقائع تتعلق بشؤم ابن الرومي ، فقال إن وزارة المعارف ألفت لجنة سنة ١٩٤٥ لإخراج ديوان ابن الرومي ، وفي اليوم الذي وقع فيه السهوري باشا وزير المعارف بوفاق القرار بتأليف هذه اللجنة استقالت الوزارة ، ولما تولى الأستاذ علي أيوب بك وزارة المعارف أعاد تأليف اللجنة ، وفي اليوم الذي أصدر فيه القرار استقالت الوزارة ، ثم جاء الأستاذ مرسي بدر بك إلى وزارة المعارف وعرضت عليه إجراءات الشروع في طبع الديوان ، فلما وافق عليها استقالت الوزارة .

ولا أريد أن أقف عند ذلك كثيراً ، مكتفياً بالإشارة إلى أن اللجنة الأولى التي ألفت في عهد السهوري باشا مضى على تأليفها عدة أشهر وهو وزير المعارف ، وقد يكون باقي ما ذكره أو بعضه من هذا القبيل . وإنما أريد أن أعرض لقول الكاتب الأديب في آخر المقال : « ويظهر أن القدماء قد أفزعهم هذه الروح المشئومة التي وضحت في تصرفات هذا الشاعر فأغفلوه وأهملوا شعره ودأبه مع تقديرهم لعبقريته الشاعرية ، فلم يترجم له صاحب الأغاني ولم يقدم أحد على الاهتمام بديوانه ، فظل ديوانه — وهو ضخم — مطويا إلى اليوم في مطاوي النسيان » .

فهل من الحق أن صاحب الأغاني وغيره من القدماء أغفلوا ذكر ابن الرومي لفزعهم من شؤمه ؟ أقول قبل كل شيء إننا رأينا المؤلفين يتحدثون عن تشاؤم ابن الرومي بشيء من الناس والأشياء ، أما تشاؤم الناس به وفيهم المؤلفون ومنهم صاحب الأغاني فلم نره عند المتقدمين . على أن صاحب الأغاني لم يغفل ذكر ابن الرومي إطلاقا ، فقد ذكره مرتين : مرة نسب إليه انتحال بيت من الشعر لإبراهيم بن العباس ، ومرة أظهره بمظهر الشامت في نكبة سليمان بن وهب ، فلو أنه كان يفزع من شؤمه لما أتى بذكره . إذن لماذا أهمل صاحب الأغاني الإشادة بابن الرومي وشعره ؟ حقق الأستاذ كامل كيلاني هذا الموضوع في كتابه «صور جديدة من الأدب العربي» فأرجع ذلك إلى أن ابن الرومي كان مكروها من الناس لإفحاشه في الهجاء ، وكان فيمن هجاهم البحتري وكانت له مكانة بين أعيان الدولة وكبار رجالها ، وكان أبو الفرج يحبه ويشيد بذكره ويعنى بآثاره ، ومنهم الأخفش أستاذ أبي الفرج « فلا غرو أن يغرس الأستاذ في نفس تلميذه بذور الكراهية والبغض لابن الرومي منذ الصغر ، أو يغضب التلميذ لأستاذه فتصد إغفال من جعل همه الأول شتم أستاذه والتشهير به »(١)

ومهما كان السبب في إهمال صاحب الأغاني الترجمة لابن الرومي والتنويه بشعره ، فليس من المعقول أن يكون ذلك لتشاؤمه به وخوفه من أن يقع له شر ، كما وقع للمازني والعقاد وكامل كيلاني حين تعرضوا لشعره ودراسته ، فقد كسرت رجل الأول وسجن الثاني ومات ولد الثالث ، وهي اتفاقات لا تذكر إلا في مجال التلهي والتندر .

عباس خضر

(١) ص ٢١٥ من كتاب « صور جديدة من الأدب العربي »